

توقظه العبر فلا يستيقظ، وتعظه الآيات والنذر فلا يتعظ. هو من لا تكف الموعظة غرب جهالته، ولا تفل النصيحة حد ضلالته. يصغي إلى الرشد بمسمع أصم، ويعطس في العناد بأنف أشم. قد غطى الخذلان على سمعه وعينه، وحال بين قلبه وصدره، وملك عليه الشيطان مسارب عزمه، ومساري فكره. قد تحولته بالموعظة هادياً من حيرته، ومُستشلياً من غمرته، فناداه الخذلان بأن صمم فأصر، قال له الشيطان تمم فاستمر. كأني أغريته، فناداه حين نهيته، وأغويته حين هديته، وأعميته حين بصرتة، وخذلته حين نصرته. أولئك قوم قد أخذ الله بأسماعهم وأبصارهم، وقرن الخذلان بأعوانهم وأنصارهم. جهالة عموا بها عمياء، وغشاوة مدت على دهمائهم دهماء.

إبراز صفحة المنايذة

أبرز صفحة المكاشفة، وكشف قناع المخالفة، وسار على مدارج الغرور، وأثار كوامن الثبور. ما ظننت الجهل يستمر كل هذا الاستمرار، حتى يستوفي كتاب الخذلان، ويستغرق صحيفة الإدبار. قد متك حجاب نفاقه، وأظهر مكنون شقاقه، فأنحرف وخالف، وجاهر وكاشف، وأظهر مكنون سره، وأبدي كامن شره، وأقدم على العظمى، وصرح بجحد النعمى. كشف قناع الحشمة، وخرق حجاب الهيبة. بارز سلطانه بالمحادثة، وجاهره بالمضادة، مُستبدلاً بعز تدلله، ذل تعززه عليه، ومعتاضاً من أمانة سعيه في رضاه، خيفة مخالفته إياه.

استيجاب التكبر والمعاقبة

أما الكباثر التي تحكي عنه فالواحدة منها ترفع رخصة الحكم، وتبدي الهجنة في الصفح. قد جرت منه هنات اقتضت أن تعرف قدره، وتلقي بما يشجي صدره. قد أوجب مروقته من الطاعة، وفسوقه بغاية الإستطاعة، إن ترتجع عواري النعم من يديه، وتفاض ملابس النعم عليه. لا يغني فيه